يقترض الباكستانيون المال من أجل الهجرة إلى أوروبا (Getty)

تنمو شبكات تهريب البشر عالمياً، وتتعاون مع وكلاء محليين في دول عدة، إذ يمر طريق الباكستانيين الحالمين بالهجرة إلى أوروبا عبر الإمارات ومصر وليبيا، ومنها إما إلى اليونان وإيطاليا، أو تنتهي الرحلة غرقاً في البحر المتوسط

شبكات التهريب عابرة الدول

طريق الباكستانيين إلى أوروبا يمر من الدول العربية

إسلام أباد ـ **صبغة الله صابر**

غادر العشريني الباكستاني محمد أحسن منزله في قرية كيورته بالشطر الباكستاني من إقليم كشمير، في الثالث من مارس/آذار 2023، متوجهاً إلى مدينة كراتشي عاصمة إقليم السند جنوب البلاد، بعد ما دفع لسمسار يعمل مع مهرب بشر مليونين و200 ألف روبية (7807 دولارات أميركية) تتضمن سعر تذاكر السفر ومصاريف الطريق حتى الوصول إلى اليونان، ومنها إلى تحقيق حلمه بالاستقرار في بلد أوروبي غني، مثل أبناء قريته الموجودين في ألمانيا.

وانتقل أحسن من كراتشي إلى دبي الإماراتية التي دخلها بشكل رسمي، مثل القاهرة المصرية، التي انتقل إليها بعدها، ومنها إلى بنغازي الليبية، وهناك استقبله في 20 مارس، أحد أعضاء عصابة تهريب بشر ليبية على صلة بالمهرب الباكستاني، كما يقول، مضيفاً أنه انضم إلى ستة باكستانيين، وانتظرنا شهرين ونصفاً حتى أخبرنا المهرب أننا سننتقل براً إلى بلدة توكرة، ثم سوسة شمال شرقي ليبيا، ثم طبرق في أقصى الشرق، ومنها إلى اليونان عبر البحر الأبيض المتوسط. وفي الثامن من يونيو/حزيران 2023، صعد أحسن ورفاقه في طبرق على متن قارب لتهريب المهاجرين، متوجهين إلى اليونان، لكن مليشيا حفتر البحرية اعترضت القارب بعد ثلاثة أيام من انطلاقته، وقبضوا على الجميع، وأعادوهم إلى ليبيا، وزجوا بهم في مراكز الاحتجاز، كما يقول، مضيفاً: «مكثت 18 يوماً في مركز احتجاز بمدينة بنغازي». وتزامنت رحلة أحسن مع غرق قارب وعلى متنه 700 مهاجر من بينهم 350 باكستانياً، غرق 300 منهم قبالة السواحل اليونانية في الرابع عشر من يونيو/حزيران 2023، كما أكد وزير الداخلية الباكستاني رانا سناء الله خان في 23 يونيو، ومن بين الضحايا عدد من أصدقاء أحسن، من بينهم محمد ناصر، وعبد البصير، ومحمد عرفان، بينما نجا محمد حمزة (26 عاماً)، ووصل إلى اليونان، حسب قوله، مضيفاً لـ«العربي الجديد»: «المهربون وطاقم القارب يلعبون بحياة الناس، سعة القارب 400 شخص، لكنهم حملوه تقريباً بضعفها».

مسارات محفوفة بالمخاطر

يقترض الباكستانيون المال من أجل الهجرة إلى أوروبا بسبب البطالة والفقر، كما يقول الناشط الاجتماعي سيد وجهت علي، والذي يعمل في مؤسسة «JDC» (منظمة خيرية غير ربحية)، مضيفاً لـ«العربي الجديد»: «المهربون يشجعون الشباب على الهجرة عبر وعود خيالية تلقى قبولاً ورواجاً، خاصة أن نسبة الفقر تصل إلى 39,4% من إجمالي السكان، البالغ عددهم 250 مليون نسمة، بينما بلغت نسبة البطالة 6,40% من إجمالي القوى العاملة في العام الماضي، بحسب موقع البنك الدولي. وسافر 13 ألف باكستاني إلى ليبيا، من أجل الهجرة إلى أوروبا خلال الأشهر الستة الأولى من العام الجاري، كما ذكرت الشرطة الباكستانية في الأول من أغسطس/آب 2023، وهناك ثلاثة مسارات لعبور المهاجرين من ليبيا وصولاً إلى أوروبا، هي طريق يعرف بطريق وسط البحر الأبيض المتوسط، والثاني طريق شرق البحر الأبيض المتوسط، والثالث طريق غرب البلقان (يمر بشرق المتوسط أو أوكرانيا)، بحسب ما رصدته الوكالة الأوروبية لخفر الحدود والسواحل (Frontex). وبشكل أساسي يسلك الباكستانيون مسارين في طريق هجرتهم إلى أوروبا، الأول عبر إيران وتركيا ثم اليونان (شرق المتوسط)، والثاني يمر بالإمارات ومصر ثم ليبيا ثم إيطاليا (وسط البحر المتوسط)، وتطورت شبكات تهريب البشر، وصارت تنسق بين وكلاء محليين لتصبح عابرة للدول، بحسب ما رصد الضابط محمد شكيل خان، الذي يعمل في دائرة مكافحة تهريب المهاجرين والاتجار بالبشر، التابعة لمكتب المحاسبة الوطني (مؤسسة اتحادية)، والذي يقول لـ«العربي الجديد»: «المهربون في باكستان يستخرجون أوراقاً رسمية للمهاجرين غير الشرعيين، بالتنسيق مع عصابات تابعة لجماعات مسلحة في بنغازي، وتشمل تأشيرات سياحية لدول مختلفة يمرون بها وصولاً إلى ليبيا، وعند الوصول إليها يأخذون جوازات سفرهم ويمنحونهم أخرى مزورة». هذا ما حدث مع محمد مسرور الذي وصل إلى ألمانيا عبر المسار الثاني، والذي يقول لـ«العربي الجديد»: «كل الوعود التي قدمها لنا المهربون في كشمير أو في كراتشي أو ليبيا كانت كذباً، وعدونا بأنهم سيوفرون لنا كل الاحتياجات خلال الرحلة، وقوارب آمنة وهذا لم يتحقق» ويوضح: «في ليبيا كنا نعيش 30 شخصاً في الغرفة الواحدة، مع عدم وجود حمامات، أما الطعام فعدس مغلي مع الخبز الجاف، وماء غير صالح للشرب». و«قد وُضعنا في منازل بعيدة، والمسلحون كانوا يأتون لأيام ثم ينصرفون». يضيف: «بعدما ضاقت بنا السبل حاولت الاتصال هاتفياً بالسمسار، الذي يعيش في مدينة ماندي بهاودين بإقليم البنجاب، لكنه لم يرد، وفشلت أسرتي في التحدث مع المهرب الرئيسي».

13 ألف باكستاني سافروا إلى ليبيا خلال الأشهر الستة الأولى من 2023

وعود كاذبة من المهربين للمهاجرين بتوفير احتياجاتهم وقوارب آمنة

جحيم مراكز الاحتجاز الليبية

«يعاني المهاجرون المودعون في مراكز الاحتجاز الرسمية من ظروف غير إنسانية ومميتة في بعض الأحيان، بالإضافة إلى الابتزاز»، حسب تقرير «ما من مكان آمن: حلقة الانتهاكات بحق اللاجئين والمهاجرين في ليبيا» المنشور على موقع منظمة العفو الدولية في سبتمبر/أيلول 2020، ويؤكد الضحايا أنهم تعرضوا للتعذيب وغيره من ضروب المعاملة السيئة ومن أخطرها العنف الجنسي. وبعض المهاجرين واللاجئين محتجزون في أماكن تديرها جماعات مسلحة ومتاجرون بالبشر. وتؤكد معاناة الشاب محمد ساجد ما سبق، إذ يقبع مع ثلاثة باكستانيين في سجن بمدينة بنغازي منذ اعتقالهم على يد مليشيا حفتر البحرية في 12 يونيو 2023، بحسب تأكيد قريبه غفران الله فضل، والذي قال لـ«العربي الجديد»: «تواصلنا معه من خلال هاتف محمول لأحد السجناء، وأخبرنا بأنه يعاني من شدة الألم، بسبب تعرضه للضرب، فضلاً عن بقائهم أحياناً من دون طعام لمدة 24 ساعة». ويبدو عدد الضحايا الباكستانيين كبيراً، من بين من يخوضون مغامرة الهجرة غير الشرعية، بحسب تصريح وزير الداخلية السابق رانا سناء الله خان الصادر في 23 يونيو 2023، والذي ذكر أنّ ألفي باكستاني، حاولوا الانتقال إلى إيطاليا محتجزون في السجون الليبية. ويوضح الضابط شكيل خان أن «المحتجزين يعانون بشدة، ولا يحصلون على قوت يومهم» مضيفاً أن الإبقاء عليهم في الاحتجاز يزيد من معاناة أسرهم. ويضطر أهالي المحتجزين الباكستانيين، إلى دفع المال للإفراج عن أقاربهم من سجون ليبيا، كما جرى مع أحسن، الذي يقول: «دفعت أسرتي 500 ألف روبية (1625 دولاراً) عبر مهرب في بنغازي قال إنه سيدفعها إلى مسؤول في القوات البحرية، ليفرجوا عني، ثم دفعت 650 ألف روبية (2113 دولاراً) قيمة تذكرة الطيران ومصاريف رحلة العودة إلى بلدي». كما دفع محمد عدنان ألف دولار لموظفين في مركز احتجاز ببنغازي، ليتم الإفراج عنه بعد شهرين من سجنه، كما يقول لـ«العربي الجديد»، مضيفاً بحزن: «كنت أتمنى الموت في السجن، بسبب الضرب الذي تعرّضت له، وقلة الطعام، والمياه غير الصالحة للشرب»، ويتابع: «بعد الإفراج عني حاولت مجدداً الهجرة عبر ليبيا وهذه المرة وصلت إلى اليونان في فبراير/ شباط 2022». و«غالباً ما يتورط الموظفون الرسميون المسؤولون عن إدارة مراكز الاحتجاز وحراستها في تعذيب اللاجئين والمهاجرين وإساءة معاملتهم، بغرض الحصول على الفدية منهم أو من عائلاتهم، مقابل الافراج عنهم من الاحتجاز التعسفي غير المحدد بأجل»، حسب تقرير «شبكة التواطؤ المظلمة في ليبيا: الانتهاكات ضد اللاجئين والمهاجرين المتجهين إلى أوروبا» الصادر عن منظمة العفو الدولية في عام 2017.

عجز حكومي عن مكافحة الظاهرة

أكدت الناطقة باسم الخارجية الباكستانية ممتاز زهراء بلوش في يوليو/تموز 2023، أن وضع الباكستانيين في ليبيا مؤسف للغاية، موضحة أن السفارة الباكستانية تحركت إزاء قضية المعتقلين، وأن السفير الباكستاني في ليبيا عاشق عالي قد زار بعض المعتقلين، وعمل على وصول الطعام إليهم، كما أن السفارة طلبت من المؤسسات التابعة للأمم المتحدة أن تساعد في توفير الرعاية الصحية لهم، وإخراجهم من السجون الليبية، وترتيب أمور عودتهم إلى البلاد. ومن أجل مكافحة الظاهرة، يقول الضابط شكيل خان: «استناداً إلى معلومات استخباراتية نعمل على اعتقال المهربين وشبكاتهم، عبر استجواب المهاجرين غير الشرعيين العائدين، ونلاحق موظفين حكوميين ضالعين في ظاهرة تهريب البشر». وسجلت الوكالة المركزية الباكستانية 208 حالات تهريب مهاجرين، وقبضت على 705 متهمين بتهريب البشر في عام 2018، وتبدو خطورة تصاعد الظاهرة في بيانات عام 2020، إذ سجلت دوائر مكافحة الاتجار بالبشر في باكستان 13641 قضية تهريب وهجرة غير شرعية، وبلغ عدد الحالات المبلغ عنها من المناطق كافة 8370 حالة، أدين فيها 1659 مهرباً»، وفق التقرير السنوي حول الاتجار بالبشر وتهريب المهاجرين لعام 2020، الذي تصدره وكالة التحقيقات الفيدرالية الباكستانية، ومكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة. وفي محاولة لمواجهة الظاهرة أصدرت الحكومة الباكستانية في 17 سبتمبر 2018، قانون مكافحة التهريب وحماية حقوق المهاجرين والذي يعاقب على جريمة الاتجار بالبشر بالسجن لمدة تصل إلى 14 عاماً، لكن الخبير القانوني محمد راشد، الذي يعمل في محكمة إسلام أباد، يقول لـ«العربي الجديد» إنّ القانون لا يطبق، بدليل أن الحكومة أفرجت بكفالة عن معظم المهربين الخمسين الذين اعتقلتهم بعد حادث غرق قارب قرب السواحل اليونانية في 14 يونيو 2023.